هدية العيد.

يوم انتصرتم على العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان ، أهديتم النصر ، أول مرّة ، إلى كل اللبنانيين وكل الأمة العربية وكل العالم الإسلامي وكل الشرفاء في العالم من دون تمييز بين من يقبل الهدية ومن يرفضها . أما في المرة الثانية فكنتم أكثر تحديداً وأهديتم النصر إلى من لا حاجة إلى إهدائه إياه لأنه هو صاحب النصر ومشارك فيه مباشرة أو غير مباشرة ، وهذا هو الموقف الصحيح إذ أن النصر لا يهدى ، كما قلتُ مرة ، بل هو " ملك لمن أقر به وشعر بالعزة." (مقالة سابقة) .

لكن ما معنى الهدية ولماذا لا تقبل ؟ الهدية هي أن أقدم للآخر أفضل ما عندي أو ما أستطيع ، معتقداً أنه سيقدّر قيمته ولو المعنوية . لكن حين يكون أفضل ما عندي وأفخربه ، هو أسوأ ما يتوقع الآخر وأخطره ، فهنا تقع المشكلة وهي مشكلة ليست في الشكل بل في المضمون ؛ بمعنى آخر ، أن يكون انتصاري انكساراً للآخر، هي المشكلة . فالفريق اللبناني ومن وراءه من الفرقاء العرب والدوليين الذين كانوا ينتظرون هدية من طعم آخر ، إذ إنهم كانوا يتوقعون هزيمة المقاومة ونزع سلاحها و... أتتهم هدية قائد المقاومة وكأنها شماتة بهم وبتوقعاتهم ولو أن السيد لم يقصد ذلك . لكنهم شعوروا بها وكأنها كذلك ، لأن ما نشعر به يأتي من الداخل ووفقاً لتوقعاتنا وليس من الخارج .

ثم إن الهدية تعني أن يكون لدي شيء أهديه وحين لا أملك شيئاً أتحايل كي آخذ ، وهذا ما يسمى في بلدنا " الشطارة " في السياسة . ففي الحلف الرباعي ، قبل الانتخابات النيابية الأخيرة ، أهدى حزب الله قوته الانتخابية للقوى التي تحالف معها فجعل منها "الأكثرية" في المجلس النيابي . وما أن نالت هذه الفئة ما تريده ب"شطارتها" السياسية حتى انقلبت على من أهداها صفة الأكثرية وطعنته في الظهر ، مستقوية عليه بعددية وهمية لا تعكس واقع الحال بل واقع المال . إذن هذه "الأكثرية تملك شيئين : "الشطارة السياسية " والطعن في الظهر ، وإن كان عليها أن تهدي ، فليس أمامها إلا أن تختار أحد هذين الأمرين . فماذا ستختار هديّةً للعيد ؟ "الشطارة" ما عادت تنطلي على أحد حتى ولو كان ساذجاً لأن الأمور أصبحت واضحة والتحالفات بيّنة والنيّات مقروءة ؛ لقد فضحت الحرب الأخيرة على لبنان كل مستور حتى ولو تفنّن أصحابه في إخفائه . أما الطعن في الظهر ، فهو وارد في كل لحظة ومن جهات عديدة ، تتّكل كلها على صلابة ومرونة حلفائها في الداخل ولهذا السبب يمكننا توقّع أن تكون اليد التي ستحمل الخنجر، هذه المرة ، متلبّسة قفازات من حرير تحاك في العواصم العالمية التي كثرت زياراتها في المدة الأخيرة .

حين صلب المسيح فداءاً عن كل البشر وطلب أن يشرب ، ماذا قدموا له ؟ قدموا له اسفنجة مبلّلة بالخل وإكليلاً من شوك . فهل تحضّر "الأكثرية" للبنان الخلّ وإكليل الشوك ؟ ربما!!,,, لكن هل يلدغ المؤمن أو العاقل من الجحر مرّتين؟

إلهام منصور .